

نشأة التصوف

التصوف تصورات دينية انتشرت في العالم الإسلامي في بداية الأمر كنزعات فردية تدعو إلى العبادة والزهد في الحياة ، وذلك كرد فعل لزيادة الفساد والترفع الحضاري . ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً وحركات منظمة ومعروفة باسم الصوفية . ولا شك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد والورع والتوبة والرضا، إنما هي أمور من الإسلام الذي يحث على التمسك بها والعمل من أجلها، فالمتصوفة يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية . وقد تنوعت وتباينت آراء الناس وتوجهاتهم نحو تلك الحركة لأن ظاهرها لا يدل على باطنها .

جميع المؤرخون يتفقون على أن التصوف نشأ وترعرع في **العراق** ، حيث برزت أسماء كبرى قد ساهمت بتأسيسه، منها : **داود بن نصير الطائي** ، **رابعة العدوية** ، **معروف الكرخي** ، **السري السقطي** ، **الجنيد البغدادي** ، وغيرهم الكثيرون . ولكن اختلفت آراء الباحثين حول الكيفية التي بدأ بها التصوف في العراق وفي غيره من الدول ، وكذلك عن التوقيت بالتحديد ، على عدة آراء :

1- رأي يقول أن التصوف الاسلامي :

هو امتداد طبيعي لعقيدة (**وحدة الوجود العرفانية**) التي بدأت تنتشر في الشرق الاوسط ، بالذات في **العراق والشام ومصر**، منذ القرن الثالث قبل الميلاد . وهي عقيدة تحاول أن تمزج بين (**روحانية الشرق الآسيوي ومنطق الاغريق**) . فبعد سقوط آخر دولة عراقية في القرن السادس قبل الميلاد على يد الفرس ، واحتلال الشام ومصر من قبل الإغريق ثم الرومان ، بدأ يتغلغل في هذه البلدان تياران دينيان جديدان :

- 1 **التيار الديني الآسيوي (الهندي الصيني) المتضمن (عقيدة وحدة الوجود) عن طريق ايران ،**
- 2 **التيار الفكري اليوناني (علم المنطق) عن طريق الإغريق أنفسهم ثم الرومان .**

لقد امتزج هذان التياران الجديدان مع ديانة عبادة الكواكب العراقية وديانة البعل الشامية وديانة خلود الآخرة المصرية . **نتج من هذا مزيج يجمع بين (عقيدة وحدة الوجود الآسيوية) و(المنطق الاغريقي) و(عقيدة المهدي - المسيح - المخلص) العراقية، وعقيدة (الخلود الآخروي) المصرية .**

تجدر الإشارة إلى أن (مفهوم وحدة الوجود) في أصله هو مذهب آسيوي واضح الحضور في الأديان الصينية والهندية ، مثل البوذية والتاوية والهندوسية . بينما أديان البحر المتوسط (بصفتها الأوربية والشرقية) هي بطبعها أديان ثنائية تميز بصورة واضحة بين (الخالق والمخلوق) .

فالديانة العراقية القديمة وكذلك المصرية والشامية ، بالاضافة الى الأديان السماوية ، جميعها بدرجات مختلفة تعتبر القوى الإلهية مقيمة في السماء العليا ومنفصلة جوهرياً عن مخلوقاتنا على الأرض .

2- ورأي يقول أنه كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً:

ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال : **إبراهيم بن أدهم** ، **مالك بن دينار** ، **بشر الحافي** ، **رابعة العدوية** ، **وعبد الواحد بن زيد**، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من **تعذيب للنفس** بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة في البراري والصحاري، وترك الزواج.

يقول مالك بن دينار: "**لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابيل الكلاب** ." وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص من كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد

من الأقوال المردولة والشطحات المستنكرة ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية .
- وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروّضون أنفسهم على هجر النوم وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق .

- وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربّه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفة لقول الله تعالى: (يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً).

- يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: "في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي ت002هـ، تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية - وهي أول ما بني في الإسلام - أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع - صار لهم حال من السماع والصوت - إشارة إلى الغناء. وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين". ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار .

3- إنَّ الثابتَ من الكتب التي كتبها كثيرٌ من المعاصرين:

عن الصوفية ، ومن القدماء : أنَّ أولَ مَنْ أسَّس التصوف هم : الشيعة ، وأنَّ هناك - بالذات - رجلين كانا لهما دورٌ في ذلك :

الأول : يسمَّى عبدك ، والثاني : يسمَّى أبو هاشم الكوفي الصوفي المتوفى سنة (051هـ)، أو "أبو هاشم الشيعي" ، فهما اللذان أسسا دين التصوف .

فالصوفية أجمع هي وليدة التشيع .. بدأت حركة زهدية علماً "أن الزهد في المشرق [والآن أضف المغرب] إنما تطوّر إلى تصوّف على أيدي الزهاد الفرس الذين يمثلون عصب التشيع ودمه الفوّار. "

4- ظهور مصطلح التصوف والصوفية:

أول ما ظهر في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس ، والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة ، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب ، حيث إن التيارات العرفانية كانت سائدة بين العراقيين قبل الاسلام ، مثل (المندائية) و (المانوية) و (التنسك المسيحي) .

وقد بلغ التصوف ذروته في نهاية القرن الثالث الهجري . وواصلت الصوفية انتشارها في العراق ثم إيران ومصر والمغرب ، وظهرت من خلالها الطرق الصوفية .

نشأة الطرق الصوفية

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني 034هـ أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة .

ويذهب مؤلف موسوعة الصوفية "عبد المنعم الحفني" وغيره إلى أن عبد القادر الجيلاني ، صاحب الطريقة القادرية (174-165هـ)، هو أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها وكانت الرفاعية هي ثاني طريقة، وتلت هذه الطريقة المولوية المنسوبة إلى الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي ...

وتنتشر في العالم اليوم مئات الطرق ، إضافة إلى طرق كثيرة اندثرت ، وقد أحصى مؤلف "الموسوعة الصوفية" أسماء 300 طريقة صوفية في عدد بسيط من الدول الإسلامية ، ناهيك عن الدول الأخرى .

"ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية ... كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت 045هـ) ... وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة السهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن (945-785هـ) صاحب مدرسة الإشراف الفلسفية."

وفي تلك المرحلة، وفي مراحل أخرى برز عدد كبير من رموز الصوفية من ذوي الأصول الفارسية مثل الحلاج والبسطامي والسهروردي والغزالي وغيرهم الكثير ممن اعتبروا مرجعاً ورمزاً لجميع المتصوفة حتى يومنا هذا. كما أن كتب وأفكار شيوخ الصوفية القدامى هي التي تسير عليها الطرق الصوفية اليوم.

هذا وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول من تسمى بالصوفي. على أقوال ثلاثة:

أ - قول شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه : أن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الشيعي الكوفي ت051هـ بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان معاصراً لسفيان الثوري ت551هـ. وكان معاصراً لجعفر الصادق وينسب إلى الشيعة الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية. وهو الذي بنى زاوية في مدينة الرملة بفلسطين وكان أبو هاشم حلولياً دهرياً يقول بالحلول والاتحاد .

ب - يذكر بعض المؤرخين أن عبدك - عبد الكريم أو محمد - المتوفى سنة 012هـ هو أول من تسمى بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمى نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا القوت، حيث ذهب أئمة الهدى، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

ج - يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى سنة 802هـ أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعتبره من أكابرهم، والفلاسفة ينسبونه إليهم .

فرق الصوفية

الصوفية وما تفرع عنها ومن تأثر بها
القيسيات ... تنظيم خطير تجهله النساء!!
القيسيات التنظيم النسائي الصوفي
الخنزونية .. خداع و تضليل
الطريقة النقشبندية
الصوفية

من طرق الصوفية : الشاذلية
من طرق الصوفية : التيجانية
من طرق الصوفية : السنوسية
من طرق الصوفية : الختمية
من طرق الصوفية : البريلوية
جماعة متأثرة بالصوفية: الديوبندية
جماعة متأثرة بالصوفية: المهديّة
جماعة متأثرة بالصوفية: النورية
الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها
هذه هي الصوفية في حضرموت
الطريقة الرفاعية
الطريقة الشاذلية
الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية
الطريقة السمانية
الطريقة النقشبندية
الطريقة الختمية
الطريقة البرهانية

الطريقة القادرية
الطريقة التيجانية حقائق وأسرار
الطريقة التيجانية

الخلاصة

وبعد هذا العرض عن ابتداع التصوف ونشأته نجد اليوم من العلماء والمشايخ وأصحاب العمام لهم مواقع هامة واسماء لامعه يدعون إلى التصوف، وأنه من الدين وركن من أركان المجتمع الإسلامي وحجر أساس في أكبر الهيئات الإسلامية، فكيف لهؤلاء أن يقفوا أمام التيارات الهدامة من فرق وجماعات ودول تحارب الإسلام وأهله وتلقي الشبهات وتنخر بها في جسد هذه الأمة، ناهيك عن اليهود والنصارى والروافض والعلمانيين والملاحدة .

فلنا الله يا أمتي
والله المستعان

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر
تاريخ النشر : 03/10/2010
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com